الباب الثاني

نشأة النحو العربي ودوافع وضعه وواضعه: اعتزاز العرب بلغتهم

وإذا تحدثنا عن نشأة النحو العربي وتطوره، فلابد التحدث عن الأمور المتعلقة بما هو الدوافع التي دفعت إلى وضع النحو العربي؟ ومن هو واضعه الحقيقي؟ ولايجوز أيضا أن يغفل ذكر هيئة العربية قبل وضع النحو حتى دفع إلى وضعه بل كانت هذه الهيئة أولى الأمور أن تعرف.

أ- هيئة لغة العربية قبل وضع النحو العربي

إن التحدث عن اللغة العربية، فلا يمكن أن نفصلها عن هيئة عرب الجاهلية؛ لأن اللغة العربية لغتهم. وكان بينهم اختلاف من لهجة إلى أخرى باختلاف القبائل إلا أنهم استعملوا لغة راقية فصحى في لغة الشعر التي يفهمها الجميع ويتبعون فيها أصولا متقاربة دقيقة للتخاطب. وقال أحد المستشرقين ت. ج. دي بور T.J. De Beor : أن وحدة الأمة العربية تتجلى في شعرهم، وكان شعراء العرب أهل العلم عند أقوامهم، وكانت قصائدهم الساحرة تنزل منزلة وحي الكهان، وخاصة عند قبائلهم، بل إن تأثير هؤلاء الشعراء كثيرا ما كان يتعدى قبائلهم.[1] وإذا كنا نؤكد توكيدا عميقا

---

[1] ت. ج. دي بور T.J. De Boer، تاريخ الفلسفة في الإسلام (مترجم)، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.س.)، 5.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

في هيئة العرب الذين سكنوا الجزيرة، فإننا سنجد اختلافا كثيرة في اللغة العربية سواء كان هذه الاختلافات في النطق أو في الحركات أو في الإملائية، وما إلى ذلك الذي سيذكره الباحث أدناه.

وبعثة هذه الاختلافات بين القبائل أن العرب لايسكنون في هذه الجزيرة فقط، بل كانت لهم مساكن فيما حولها وكانت هي مسكن أكثرهم وأهم مساكنهم، وهم يعيشون قبائل، ولكل قبيلة لغة خاصة تختلف عن قبيلة أخرى. طبعا، أن اختلاف اللغة بين القبائل يؤدي إلى انتشار الاختلاف في لغة العربية.

وكانت هذه الجزيرة الذي سكن فيها عرب الجاهلية هي داخل إقليم الجنوب الغربي من قارة آسيا، ويحد من الشمال ببادية الشام؛ ومن الشرق بالخليج الفارسي وبحر عمان؛ ومن الجنوب بالمحيط الهندي، ومن الغرب بالبحر الأحمر.[2]

وقد تكون هذه الاختلافات في كلمات، مثلا: قبيلة ما تستعمل كلمة (البُر) وقبيلة أخرى تستعمل كلمة (القمح) والمعنى واحد. وقد يكون في الحركات، فبعض القبائل كقبيلة (قريش) تفتح حرف المضارعة وبعضهم كقبيلة (أسد) تكسرها فتقول: (نَستعين) بفتح النون عند قريش و(نِستعين) بكسرها عن أسد.[3]

---

[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، (بيروت: مكتبة العصرية، 2010)، 15.

[3] أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 259.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وهناك أنواع كثيرة من الاختلافات سوى هذين الاختلافين المذكورين أعلاه، كالاختلاف في الإملائية، مثلا: بعض القبيلة تكتب (أولئك) وبعضها الأخر يكتب (أُلالك)، وبعضهم يقول: (استحيَيْت) والأخر يقول: (استحَيْت). وتختلف قبائل العرب بعضها من بعض أيضا في الإعراب فبعض القبائل يقرأ (ما زيد قائمٌ) برفع ﴿قائم﴾ وبعضهم يقرأ (ما زيد قائمًا) بنصب ﴿قائما﴾.[4] وكان أشد الخلاف ما كان بين القبائل العدنانية في الحجاز والقحطانية في اليمن، إذ يختلفون في المفردات والتراكيب.[5] وعلى كل حال، كانت هذه الاختلافات بعثت على انتشار اللحن بين العرب الذي بدا ظهوره منذ عهد الرسول ﷺ.

وإن قبائل العرب نفسها لم تكن في درجة واحدة من الفصاحة، فقد يكون بعضها أفصح من بعض. وهكذا، كما كان كل من القبائل لم تكن في درجة واحدة من الفصاحة وهم مختلفون أيضا من سلامتها من الفساد، فقد سلمت وحافظت بعضها على عربيتها من الأخر.[6] وبالإضافة إلى ذلك، ليس من المستحيل أن العرب لم تكن في درجة واحدة في فهم النص سواء كان تلك النص قرآنا أو حديثا أو رواية الشعر.

ومهما يكن من أن العرب لم تكن في درجة واحدة من الفصاحة والسلامة ولكنهم اعتزوا بلغتهم اعتزازا كبيرا، وهذا الاعتزاز الذي جعلهم

---

[4] نفسه.

[5] نفسه، 260.

[6] نفسه، 261—262.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

يخشون على لغتهم من فساد لغتهم من اللحن خاصة حين اختلطوا بالأمم الأجنبية (الأعاجم) وخافوا عليها من الفناء والانصهار في لغة الأعجمية. وأضف إلى ذلك حرص العرب على أداء نصوص القرآن أداء فصيحا سليما.[7] وجعلت هذه القضية ينهضون لوضع النحو، وهنا تحقق موقف عمر ابن الخطاب ﷺ من محاولة محافظته على فصيحة هذه اللغة المميزة إذ أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم اللغة—كما ذكره أبو بكر الأنباري في كتابه طبقات فحول الشعراء— فوضع أبو الأسود النحو.

ب- عوامل نشأة النحو العربي

والقدماء ردوا عن أسباب وضع النحو العربي إلى حوادث جزئية؛ لأن نشأة النحو العربي ارتبطت بجذور الحياة الإسلامية في ذلك الزمان وترتد إلى ما ترتد إليه نشأة العلوم الأخرى من لغوية ودينية وفلسفية. وإذا رجعنا إلى معناها الاصطلاحي فإنها انطلقت من القرآن الكريم فحسب؛ لأن النحو دراسة للتركيب اللغوي ورصد للظواهر الإعرابية الناجمة عن القرائن اللفظية التي سمعت فيما بعد بالعوامل النحوية.

وهذه الظواهر المذكورة أدناه بالتفصيل هي الأسباب التي دفعت إلى وضع النحو حقا:-

---

[7] أبو بكر الأنباري في محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979)، الجزء الأول، 9. وانظر أيضا: شوقي ضيف، المدارس النحوية، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة السابعة، د.س.)، 12.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

1- العامل الديني

وهو الدافع الرئيسي والسبب المباشر الذي أدى إلى التفكير في وضع النحو العربي، ودخل هذا الباب من باب استعمال العام في موضع الخاص حيث كان التعبير الأدق عن هذا السبب القرآني. وكانت الظاهرة القرآنية لم تكن قلبا للجوانب الروحية في حياة الناس فحسب بل كانت قلبا للعادات اللغوية؛ لأن العرب واجهوا في قراءة القرآن مجموعة من الظواهر لم يكن في سلائقتهم متفقين عليها.[8]

ولايخلو من أهمية الأشياء الأخرى، أن العرب مندوبون إلى فهم القرآن الكريم ووعي تعاليمه ويحتاج إلى معرفة الألفاظ الغريبة التي لم يكن القريش بأحسن خطا من غيره في هذه القضية. فعندئذ، عرفنا أن القرآن الكريم استخدم بعض كلمات غير عربية ثم عرِّب واستخدم في البيئة العربية ولاسيما مكة ولابد إزاء هذه الظاهرة من تلمس معانيها وردها إلى أصولها، وتأتي بعد هذا كله ظاهرة الإعراب في لغة القرآن.[9]

وربما كانت هذه الظاهرة القرآنية هي أكبر الصعوبات التي واجهها العرب والمسلمون. كما حذّر ذلك النّبي ﷺ عن يحي بن سليمان الضبي قال حدثنا محمد – يعني ابن سعيد— قال حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جده عن أبي هريرة أن النبي

---

[8] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979)، الجزء الأول، 32.

[9] نفسه.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ﷺ قال: ﴿أَعْرِبُوْا الْقُرْآنَ وَالْتَمِسُوْا غَرَائِبَهُ﴾؛ [10] حدثنا سعيد قال: نا هشيم ، قال: نا إسماعيل بن أبي خالد، قال: أنا شيخ، قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَسَيَكُونُ بَعْدَكُمْ أَقْوَامٌ يَثْقَفُونَهُ، وَلَيْسُوا بِخِيَارِكُمْ﴾.

وفيما يتعلق بالحديث عن أسباب وضع النحو ما يحمل الظاهرة القرآنية نفسها فترجع إلى رواية أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري في ﴿الأمالي﴾:

حدثني بعض أصحابنا قال: قال أبو عبد الله محمد بن يحيى القطعي، حدثني محمد بن عيسى بن يزيد، حدثني أبو توبة الربيع ابن نافع الحلبي، حدثنا عيسى بن يونس عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال: ﴿قَدِمَ أَعْرَبِيٌّ فِيْ زَمَانِ عُمَرَ فَقَالَ: مَنْ يُقْرِئُنِيْ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مَحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَقْرَأَهُ رَجُلٌ سَوْرَةَ بَرَاءَة، فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ﴾ بالجر، فقال الأعرابي: أو قد بريء الله من رسوله؟ إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه.

---

[10] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (الرياض، المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، 2003)، الجزء الأول، 23. (في قرص مكتبة الشاملة، الإصدار 3.28).

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من الله ورسوله—صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت: من يقرئني؟ فأقرأني هذا (سورة براءة)، فقال:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾ فقلت: أوقد بريء الله من رسوله؟ إن يكن الله قد بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، فقال فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾؛ فقال أعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ألاّ يقريء القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو.[11]

وقال أحمد نجيب أفندي أن السبب الديني نفسه الذي دفع إلى وضع النحو العربي تكوّن من أربعة مسائل المهمة وهي هذه: (1) اختلاف قراءة القرآن الكريم، (2) والحاجة إلى كتابة كتب التفسير، (3) وجود الأخطاء في قراءة القرآن الكريم، (4) وأحست الحاجة إلى استنباط الأحكام من الآية القرآنية من ناحية الإعراب.[12]

ولذلك، كانت الحاجة ماسة إلى وضع النحو العربي محافظة المسلمين على سلامة قراءة القرآن الكريم من اللحن أوتغيير المفهوم منه أو الأحكام المأخوذة منه والمبنية عليه؛ لأن اللحن شر من الخطأ في

---

[11] جلال الدين السيوطي، سبب وضع علم العربية، (بيروت: دار الهجرة، الطبعة الأولى، 1988)، 27—31.

[12] Ahmad Najib Afandi, *Madrasah Nahwu Basrah & Kufah*, (Brebes, Pustaka al-Hikmah, 2004), 13.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

القراءة، كما قال أبو بكر الصديق—رضي الله عنه--: ﴿لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن﴾[13] وقال عمر بن الخطاب: ﴿سوء اللحن أشد من سوء الرمي﴾ عند مر برجلين يرميان، فقال أحدهما الآخر: ﴿أَسَبْتَ﴾.[14]

واتضح لنا أن الدافع الأساسي إلى وضع النحو العربي هو ظهور اللحن بين العرب الذي يهدد وجود اللغة الفصحى ويفسد قراءة القرآن، وإعرابه.

2- العامل الاجتماعي

والبعثة الثانية التي دفعت إلى وضع النحو العربي ترجع إلى أن الأمم الأجنبية من البلاد المفتوحة أحست الحاجة الشديدة إلى من يرسم لها أوضاع اللغة العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما كما نطقها عرب الجزيرة،[15] وعندهم رغبة شديدة في دراسة القرآن الكريم والعلوم الأخرى ويشغلون المناصب الإدارية ويستطيعون أن يخاطبوا الفاتحين بلغتهم، وكذلك تعرف حضارة العرب.[16]

---

[13] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر وطبعتها، د.س.)، 5.

[14] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو، 21.

[15] رحاب حضر عكاوي، موسوعة قباقرة الإسلام في النحو واللغة والفقه، (بيروت: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1993)، الجزء الثالث، 10.

[16] Afandi, *Madrasah Nahwu, 13.*

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ثم اشتد انتشار فساد اللغة العربية في الحواضر بعد الفتوحات؛ لأن احتكاك اللغات بعضها ببعض يؤدي إلى تبادل التأثير. فعندئذ، كان الناس في مكة— مثلا— تكوّن من ثلاث طبقات، وهي هذه:- (1) العرب القرشيون، وهم سادة الناس ورعاة الحرم؛ (2) العرب غير القرشيين، وهم الذين كانوا يحالفون رجالا من قريش، أويوالونهم وفي هؤلاء اليمني والمضري؛ (3) غير العرب وهم قسمان: الرقيق ورجال الجاليات الأجنبية.[17]

وهناك ناحية أخرى لايصح إغفالها قط وهو أن الإسلام والفتح الإسلاميّ والحضارة الإسلامية انتجت أشياء لها خطرها وأصبحت الجزيرة مرتادا للأعاجم. وأصبحت مدينة حضارة الإسلام ومكة مقصد المسلمين في الحج. وكان الناس من الأمم الأجنبية يأتون أحيانا مكة للحج ويأتون أحيانا مدينة لقضاء مصالحهم في حاضرة الخلافة.

وغير ما ذكر فوقه، ملك العرب رقيقا كثيرا سكنوا مع سادتهم في الحجاز وغيره، فاختلط العجم بالعرب في كل مكان من البيوت والأسواق و المناسك والمساجد، فمن ذلك تطرد الخلل في لسان العرب، وأخذ العرب الفساد وظهر اللحن بعد أن تكلموا العربية عن سليقة،

---

[17] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو العربي...، 27.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وهكذا حال الأمصار الأخرى وكانت هذه الأمور كلها بعثت إلى انتشار اللحن انتشارا شديدا وتفسد سلامة اللغة العربية وفصيحتها.[18]

وليس اللحن بين ألسنة العرب في حضور الأعاجم الذين سكنوا في الجزيرة وخاصة مكة والمدينة فقط، ولكن كان اللحن بين ألسنة العرب الذين هاجروا بعد الفتوحات إلى الأمصار الإسلامية وأخذت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة حتى عند بلغائهم وخطبائهم المفوهين[19] بل كان اللحن عند المتأخرين ذكره أشد ممن سكنوا في الجزيرة العربية، ويأتي مثلا: الحجاج حيث أنه يلحن في حرف من القرآن وكان يقرأ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[20] حيث كان أنه يرفع ﴿أَحَبُّ﴾ والوجه أن القرآن بالنصب خبرا لا بالرفع.[21]

وإن الفتوحات الإسلامية لها سلبية من ناحية دوام اللغة العربية الفصحى؛ لأن الاتصال بالبلدان المفتوحة مطالب للتفاعل في جميع خطوط الحياة. وهذا يتطلب لضبط اللغة بين العرب المهاجرين والسكان

---

[18] أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 268.

[19] عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام...، الجزء الثالث، 9—10.

[20] سورة التوبة: 24.

[21] عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام...، الجزء الثالث، 9—10.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الأصليين. وهذا يبعث ضعف اللغة العربية وذات عناية في انتشار اللحن.

3- العامل اللغوي

العامل اللغوي مما جعلت الحاجة ماسة إلى وضع النحو العربي أيضا. إذ أحست الأمم الأجنبية في صدر الإسلام الحاجة الشديدة إلى أن اللغة العربية هي أبلغ اللغات، ولغة القرآن الكريم الذي كان مصدرا أساسيا لأحكام الشريعة الإسلامية— ولايمكن أن تفهمها بالدقة إلا بفهم اللغة العربية.[22]

وقد اتضح من الملاحظة العامة لدى اللغويين المتعمقين في الدراسة اللغوية ﴿أن أصل علم اللغات عند جميع الأمم هو قيام تضاد بين لغتين أو مرتبتين من لغة واحدة، مثل لهجة العامة ولهجة الأوائل في كتب الدين﴾.[23] لأن التضاد بين المرتبتين في اللغة الواحدة يثير في الذهن موازنة بين اللهجة التي تسمى فصيحة واللهجه الجديدة ويحمل الناس على معرفة الصواب. وبالإضافة إلى ذلك، فلينا أن نعرض جوهر الواقع اللغوي في القرنين— الأول والثاني من هجرة الرسول— للنفوذ إلى حقيقة هذا الباعث.

---

[22] Afandi, *Madrasah Nahwu*..., 13—14.

[23] كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي (مترجم)، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرابعة، د.س.)، الجزء الثاني، 123—124.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

واستنتج محمد خير الحلواني أن اللغوية العربية تتكون من ثلاثة مستويات وهي هذه:-

1- **اللغة المثالية**: وكانت هذه اللغة تستعمل في الشعر والخطب والمواعظ وتتقيد اللغة المثالية بالإعراب وضوابطه. وتخلو اللغة المثالية من الظواهر اللهجية المحلية؛ ومن هذه الميزة للغة المثالية نزل القرآن بهذه اللغة. وثبتها على مر الأيام.

2- **اللغة البدوية**: أن اللغة البدوية هي اللغة المثالية نفسها، إذ تعنى اللغة البدوية بضوابط الإعراب مثل اللغة المثالية، وهذا ظاهر فيما نقله النحويون من كلام الذين سموهم فصحاء. وتستخدم هذه اللغة في بوادي نجد وتهامة والحجاز وما جاورها.

3- **لغة الحواضر**: وهي لغة أهل المدن وليست لغة أهل البدوي وأهل الوبر. كمكة والمدينة والطائف والحيرة وأطراف الشام، ولا يصح الإغفال هنا بأن هذه اللغة ليست على مستوى واحد، بل يختلف بعضها من بعض. وتتفاوت خطوطها قربا من اللغة المثالية وبعدا عنها.[24]

وشاعت اللغة المثالية في الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ومستأثرة باهتمام العرب جميعا وكانوا يسمونها هي (العربية) وكذلك لغة

---

[24] الحلواني، المفصل في تاريخ النحو...، ص. 19—20.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

البوادي. وسهل على الأعرابي أن يحيط بها؛ لأنها لغته نفسها، وصعب ذلك على عرب الحواضر. ولابد عليهم أن يسلكوا إلى تعلمها واحدة من الطريقتين: (1) أن يرسلوا أطفالهم إلى البادية لينشأوا عليها ويأخذوها من أفواه أصحابها، (2) أن يتعلموها في الكتاتيب[25].

ودل ذلك على اهتمام سكان المدن بالعربية المثالية مع كراهيتهم من اللحن الذي نجده على ثلاثة مستويات: اللحن في القراءة القرآنية وفي الخطابة وفي اللغة المحكية؛ لأن اللحن في اللغة أشد سوءا. قال مَسْلَمَة بن عبد الملك حين لحن خالد صفوان عنده: ﴿اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه﴾[26]. وقال عمر بن عبد العزيز: ﴿أكاد أضرس إذا سمعت اللحن﴾.

4- العامل السياسي

ظهر هذا العامل حينما انتقل السلطة إلى الأمويين الشهير بالدولة الإسلامية، وباستلامهم الحكم طرأت تغييرات سياسية في الدولة الإسلامية خصوصا التعصب العربي وما هو عربي، وكان هذا التعصب العربي الذي شجع العرب أن يسيطروا أمور الدولة حتى حمل لواءها ومصرفا لشؤونها، وكان بديهيا أن يتعصبوا للغة ويحافظ عليها.[27]

---

[25] نفسه، 20—21.

[26] الزمخشري، ربيع الأبرار، (في قرص مكتبة الشاملة 3.28)، الجزء الأول، 100.

[27] حسن محمد نور الدين، الدليل إلى قواعد اللغة العربية، (بيروت: دار العلوم العربية، الطبعة الأولى، 1996)، 14.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ثم انتهت هذه الحالة التعصبية على أيدي العباسيين سنة 132 هـ، وقامت الدولة العباسية آل الأمر إلى الأعاجم أو إلى الشعوب التي تحولت إلى الإسلام كالفرس والترك والبربر.[28]

ج- واضع النحو العربي

وقد اختلف جمهور العلماء في من هو واضع النحو العربي. وقد اتضح لنا أن المؤرخين القدماء رأى أن النحو العربي وضعه أبو الأسود الدؤلي ولو كانوا في ذلك يذكرون بعض الأخبار التي تنسب وضعه إلى غيره لا لأنهم يشكون في الأمر بل لأنهم يريدون أن يكون عملهم ذا شمول واستقصاء واستنتج نتيجة كاملة شاملة، ولذلك نجد من قال أن أول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي، وقال أخرون: نصر بن عاصم الدؤلي، ومن قال أن واضعه الليثي وقال أخرون: عبد الرحمن بن هرمز ولكن أكثر الناس اعتمدوا في قضية واضع النحو على أبي الأسود الدؤلي.[29]

وتأثر بعض الباحثين المعاصرين بما هو مشكوك عند بركلمان وفايل في قضية واضع النحو حيث رأى هذان المستشرقان أن الروايات التي تنسب واضع النحو على أبي الأسود إنما هو حديث خرافة فحسب، وعند هؤلاء الرجال أن النحو وضع في مرحلة أبي الإسحاق الحضرمي.

---

[28] أحمد مختار العبادي، في تاريخ العباسي والأندلسي، (بيروت: دار النهضة العربية، د.م.، د.س.) 9—10.

[29] القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي في كتابه، أخبار النحويين البصريين، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، 1955)، 10. وانظر أيضا الفهرست لابن النديم، 45.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

1- آراء المؤرخين في واضع النحو: أبو الأسود الدؤلي عبقري من البصرة الذي وضع النحو بإرشاد من إمام علي بن أبي طالب

وقف الباحث في عرض آراء القدماء هنا من السابقين الأولين في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري؛ لأن المؤرخين وأصحاب الطبقات بعد هذه المرحلة صاروا يثبتون من النصوص والروايات ما ذكره أسلافهم في القرون الأولى وليس لديهم رأي جديد في الموضوع.

وذكر أبو الطيب اللغوي (ت. 351) عدة روايات، هي:-

أ- ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي فيما حدثنا به أبو الفضل جعفر بن محمد بابتويه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد قال: أخبرنا أبو خاتم السجستاني وأخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثنا أبو عمر الحرمي عن الخليل، قالوا: وكان أبو الأسود الدؤلي أخد ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ لأنه سمع لحنا، فقال: لأبي الأسود: اجعل للناس حروفا، وأشار له إلى الرفع والنصب والجر، فكان أبو الأسود ضنينا بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ب- أخبرنا جعفر بن محمد بإسناد أخر، قال أخبرنا إبراهيم بن حميد قال: نا أبو حاتم السجستاني، قال: نا محمد بن عباد المهلبي عن أبيه ﴿سمع أبو الأسود رجلا يقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ﴾ بكسر اللام، فقال: لا أظن يسعى إلا أن أصنع شيئا أصلح به نحو هذا أوكلام [لعل الصواب: كلاما] هذا فوضع النحو. قال:

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وكان أول من رسمه فوضع منه شيئا قليلا حتى تعمق النظر من بعده وطولوا الأبواب﴾.[30]

ت- قال أبو حاتم وقال داؤد بن زبر عن قتادة، قال: أول من وضع النحو بعد أبي الأسود يحيى بن يَعْمُرَ وقد أخد عنه عبد الله بن أبي إسحاق.[31]

ث- وذكر أيضا في موضع أخر ما يلي: وأما عبد الرحمن بن هرمز فروي ابن لهيعة عن النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأحد القراء.

ج- وقال في موضع أخر: حدث عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد التوزي الصدوق— ما علمت— العفيف، قال سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول: أول من وضع العربية أبو الأسود الديلي ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله ابن أبي إسحاق الحضري.[32]

وقال الخلوتي: ﴿أول من وضع النحو وجعل الأعراب في المصاحف أبو الأسود الدؤلي التابعي البصري﴾.[33] وكتب القاضي أبي

---

[30] نفسه، 8.

[31] نفسه، 8.

[32] أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، د.س.)، 6-8.

[33] إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، (د.م.: دار إحياء التراث العربي، د.س.)، الجزء التاسع، 79. في قرص مكتبة الشاملة، الإصدار 3.28.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي في كتابه أخبار النحويين البصريين: ﴿وقد بدأت نشأة النحو بالبصرة على يد أبي الأسود (م سنة 69 هـ) وتوالت طبقات النحويين البصريين طبقة بعد طبقة﴾.[34]

وروي يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عياش عن عاصم قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدِّيلي.[35] وقال ابن سلام الجُمَحِيّ: ﴿أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدُّئلي﴾.[36] وقال محمد بن إسحق: زعم العلماء أن النحو أُخد عن أبي الأسود الدوئلي، وأن أبا الأسود أخد ذلك عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ورأى الزبيدي الأندلوسي أن أبا الأسود الدؤلي أول من أسس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها حين اضطرب كلام العرب اعتمادا على رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون القالي، ثم البغدادي: حدثنا أبو إسحاق بن السريّ الزجاج النحوي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكرم الأزدى قال: ﴿أول من وضع

---

[34] السيرافي، أخبار النحويين البصريين، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، 1955)، 5.

[35] السيرافي في كتابه، أخبار النحويين البصريين، 13.

[36] جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القِفْطيّ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1986)، 49.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

العربية ونقط المصاحف أبو الأسود ظالم بن عمرو﴾.[37] وهكذا دل قول ابن خلكان على أن أبا الأسود هو أول من وضع النحو.[38]

وذكر القفطي محاولة أبي الأسود الؤلي في وضع النحو بإرشاد من الإمام علي بن أبي طالب تفصيلا:-

﴿الجمهور من أهل الرواة على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب— كرم الله وجهه— قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله: دخلت على أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب—كرم الله وجهه— فرأيته مطرقا مفكرا، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم أتيته بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف: فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف من أنبأ عن معنى ليس بالاسم ولا فعل.

ثم قال: تتّبعه وزد فيه ما وقع لك. واعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولامضمر، وإنما يتفاضل العلماء

---

[37] أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلوسيّ، طبقات النحويين واللغويين، (القاهرة: دار المعارف، 2009)، 21.

[38] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباه أبناء الزمان، (بيروت: دار صادر، د.س.)، الجزء الثاني، 535.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر. فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها: إن وأن وليت ولعل وكأنّ ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها، فزدتها﴾.[39]

2- آراء الباحثين المعاصرين في واضع النحو: لايضع النحو العربي على يد أبي الأسود

وأما بالنسبة للرأي الذي رأى أن واضع النحو ليس أبا الأسود الدؤلي فرجع إلى رواية محبوب البكري عن خالد الحذّاء، قال: سألت نصر بن عاصم وهو أول من وضع العربية: ﴿كيف تقرؤها؟ قال: قل هو الله أحدُ الله الصمدُ (لم ينوّن). قال: فأخبرته أن عروة ينوّن، فقال: بئسما قال: وهو للبئس أهل[40] ورواية ابن لهيعة عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأحد القراء﴾.[41]

وهتان الروايتان اللذان ذكرهما الباحث، من آراء القدماء الذين اعتقدوا أن واضع النحو العربي ليس أبا الأسود الدؤلي. وأما آراء الباحثين المعاصرين فبعضهم من تأثر— مثل أحمد أمين – بأرآء

---

[39] ابن يوسف القفطي، إنباه الرواة...، الجزء الأول، 39.

[40] السيرافي، أخبار النحويين البصريين، 15—16.

[41] نفسه، 16.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

المستشرقين وانتهوا إلى نتيجة بعيدة عن الوقائع التاريخية. وكانت نتيجة بحث أحمد أمين قريب جدا إلى نتيجة المستشرق الألماني كارل بروكلمان بدليل ما أدناه:

وكتب أحمد أمين في الجزء الثاني من كتابه ضحى الإسلام:

﴿وتاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض فإن رأى فجأة كتابا ضخما ناضجا هو كتاب سيبويه، ولانرى قبله ما يصح أن يكون نراه تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكروه من هذا القبيل لايشفي غليلا﴾.[42]

ثم عد من قبيل خرافة ما نسب إلى أبي الأسود الدؤلي بعد أن دفع إليه الإمام علي بن أبي طالب—كرم الله وجهه— رقعة مكتوبا فيها:

﴿الكلام كله اسم وفعل وحرف. فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى. واعلم أن الأسماء ثلاثة: طاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر. وإنما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولامضمر... ثم وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصل إلى باب إن

---

[42] أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 303.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وأخواتها ما خلا لكن، فلما عرضها على علي أمره بضم لكن إليها، وكلما وضع بابا من أبواب النحو عرض إليه﴾.[43]

وإنما عد أحمد أمين هذه الرواية من قبيل الخرافة؛ لأن ﴿طبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التصاريف، وهذه التقاسم الفلسفية... وأخشى أن يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الذين أرادوا أن ينسبوا كل شيء إلى علي بن أبي طالب— رضي الله عنه— وأتباعه﴾.[44]

وقربت— بل تأثرت— هذه النتيجة بنتيجة المستشرق الألماني كارل بروكلمان أن الرواية التي نسبت إلى أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه المزعومين من دراسات لغوية لا يعدو أن يكون من قبيل الأساطير،[45] وتعيين أول من اشتغل بالبحوث اللغوية هو أمر غامض عنده، وأما روايات التلاميذه المزعومين فهي روايات غير أكيد أيضا مثل علاقات أبي الأسود الدؤلي نفسه بهذه الدراسات[46].

ثم بحث في هذا الموضوع بعد أحمد أمين المرحوم شوقي ضيف صاحب مدارس النحوية، فلم يأت بجديد من حيث النتائج بل يتابع

---

[43] نفسه، الجزء الثاني،. 304.

[44] نفسه، الجزء الثاني، 304—305.

[45] بروكلمان، تاريخ الأداب العربي،الجزء الثاني، 123.

[46] نفسه، 2/ 128.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

شوقي ضيف من سبقه أحمد أمين في بعض آرائه. ورأى أن كل ما نسب إلى أبي الأسود الدؤلي من:

﴿عبث الرواة الوضاعين المتزيِّدين، وهو عبث جاء من أن أبا الأسود نسب إليه حقا أنه وضع العربية، فظن بعض الرواة أنه وضع النحو، وهو إنما وضع أول نقط يحرّر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله. وقد اتخذ لذلك كاتبا فطنا حاذقا من بني عبد القيس، وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتيّ بالحرف فانقُط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتيّ بالحرف فانقُط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتيّ فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين. وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لون المداد الذي كتبت به الآيات﴾.[47]

ورأى شوقي ضيف أن ما صنعه أبو الأسود الدؤلي سمي باسم (العربية) وكان هذا الصنيع الخطير سببا في أن يختلط الأمر فيما بعد على الرواة فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو وشيئا من أبوابه، وهو إنما رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر

---

[47] شوقي ضيف، المدارس النحوية، (القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة، د.س.)، 16.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الكلمات فيه.[48] ورأى شوقي ضيف حيال قضية واضع واضع النحو العربي أن أبا إسحاق الحضرمي البصري هو واضع النحو. وكانت هذه النتيجة بعد أن أنكر موقف أبي الأسود الدؤلي في ذلك.[49]

وسيناقش الباحث روايات القدماء وآراء الباحثين المعاصرين الذين نقدوا القدماء بمشيئة الله تعالى في الموضوع الخاص في الباب الذي يلي.

د- ظهور مصطلح النحو عند العرب

وقد سبق الباحث أن يذكر أن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين وبأسلوب بليغ يعني من ذلك أن القرآن نزل من حيث اللهجة الصوتية بلغة قريش ومكة. وأما من حيث البناء والإعراب التي كانت تسود في بوادي نجد والحجاز. ويمكن ملاحظة هذه القضية من أن هناك بعض العرب الذين يتكلمون العربية بالسليقة، ومنهم من كانوا متخلفين في الفصاحة كانوا في حاجة إلى علم اللغة العربية ترشدهم إلى ما يجب عليهم ممارسته في القراءة.

ولذلك، كان العلم اللغوي الذي بحث فيما يتعلق بالقراءة في بداية ظهوره سمي بـ﴿العربية﴾ كما روي أبو مسلم النصري قال: قال: عمر بن الخطاب: ﴿ تعلّموا العربية؛ فإنها تشبب العقل وتزيد في المروءة﴾.[50]

---

[48] نفسه.

[49] نفسه، 18.

[50] علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الجزء الثالث، 887، (قرص المكتبة الشاملة، الإصدار 3.28).

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

واستعمل مصطلح ﴿العربية﴾ منذ الأول للهجرة. ويشتمل هذا العلم على النحو والصرف والغريب واللهجات والأصوات، ولم ينتشر مصطلح النحو لدى العرب ولم يستقل أيضا عن علم اللغة حتى أصبح علما مستقلا إلا في عهد التكوين (عهد أبي الاسحاق الحضري).

روي ابن سلام الجمحي عن أبيه عن يونس بن حبيب، قال: وقلت ليونس: هل سمعت أبي إسحاق شيئا؟ قال: قلت له: هل يقول أحد الصويق؟ يعني السويق، قال: نعم، عمر بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطرد وينقاس.

وأما كون مصطلح النحو نفسه لقبا لهذا العلم اللغوي، فأخذ من قول علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي: ﴿انح هذا النحو﴾. ومن البديهي، أن هذا العلم لم يعرف في عهده بهذا الاصطلاح بل كان يعرف باسم [علم] ﴿العربية﴾؛ وأن تسمية هذا العلم بعلم النحو تسمية مجازية مبنية على الاتساع، حيث لم يتحدث هذه التسمية إلا في وقت متأخرة عن أبي الأسود؛ أي في عهد أبي اسحاق الحضرمي كما رواه ابن سلام.[51]

والآن، يجوز أن يقال: إن مصطلح النحو ظهر من خزانة الإسلام نفسه، وليس هو مأخود من المصطلح الخارجي كما ظن بعض الباحثين.

[51] محمد الشاطر أحمد محمد، الموجز في نشأة النحو، (القاهرة: مكتبة كليات الأزهر، 1983)، 21.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id